أيها الولد

للإمام الغزالي

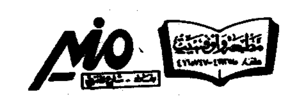
للفيلسوف حجة الاسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن
محمد الغزالي

٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ

١٠٥٨م - ١١١١م

تقديم وتحقيق وفهرسة
جميل إبراهيم حبيب

مع تحيات موقع الامام الغزالي
www.ghazali.org



الغزالي

حياته
ومنزلته العلمية
ومؤلفاته

أ ـ حياته :

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أحد المشهورين والمعدودين من أعلام الفكر العربي والأسلامي، ولد في مدينة طوس بمقاطعة خراسان سنة ٤٥٠ هجرية الموافقة لسنة ١٠٥٨ ميلادية، توفي والده وهو صغير، وأخذ يشق طريقه في الحياة بروح عصامية نادرة المثال، فأقبل على دراسة العلوم وتحصيلها من مناهلها بعزيمة وطيدة وإرادة متواصلة، فتعمق فيها وغاص في أبحرها، وقد تلقى مبادىء العربية واصولها أول الأمر في مسقط رأسه، ثم رحل الى جرجان، ثم عاد الى طوس كرة أخرىٰ، ثم انتقل الى نيسابور حيث لازم هناك ـ أمام الحرمين ـ الجويني ـ مدة من الزمن، انتهت بوفاة الامام الجويني سنة ٤٤٧ هجرية، ثم قصد العراق، فتوجه الى بغداد مركز الخلافة العباسية ولمس ان شهرته قد سبقت تلك الآفاق قبل قدومه اليها، فاتصل بالوزير نظام الملك، ففوض إليه الوزير المذكور مهمة التدريس بمدرسته المسماة بـ «النظامية» ببغداد سنة ٤٨٤ هجرية، فأخذ ينشر العلم ويدرس الطلبة، ويصنف الكتب مدة أربع سنوات، ثم فارق العراق، فرحل الى الحجاز، وحج بيت الله الحرام، ورحل بعد ذلك الى الشام وأقام بالقدس في فلسطين قريباً من سنتين، ويقال انه رحل الى مصر ونزل بالاسكندرية، ثم عاد بعد ذلك الى مسقط رأسه طوس حيث انقطع للخلوة والعبادة، وبعد ذلك ألزمه فخر الملك بن نظام الملك التدريس بمدرسته في نيسابور، فمارس التدريس فيها مدة يسيرة، عاد بعدها الى طوس ولزم داره، إلى أن مات سنة ٥٠٥ هجرية الموافقة لسنة ١١١١ ميلادية، ودفن رحمه الله بمقبرة الطابران في طوس.

ب ـ منزلته العلمية :

وللغـزالي منـزلتـه البـارزة من النـاحية العلمية سواء في عصره الذي عاش فيه، أو العصور التي تلته، وقد لازمته هذه الشهرة حتىٰ وقتنا الحاضر.

فقـد خاض في فنـون شتىٰ من العلوم والمعـارف المختلفة المواضيع، وقد أوتي موهبة فائقة من سعة الأفق وقوة البيان والتعمق في الاستنتاج، وقد ألف عديـداً من الكتب والـرسائل في علوم كثيرة، كالفلسفة وعلم الكلام والفقه والتصوف والاخلاق. . . الخ، وقد تسابق العلماء والطلبة في اقتنائها واستنسـاخهـا ودراستهـا من جيل الى جيل، وكانت كلما تبدأ حركة ما من قبيل الترجمة في قطر من الاقطار، إلا وكتب الغزالي، تأتي في مقدمة الكتب المرشحـة في الـترجمـة. ولذلك نرى ان أكثر كتب الغزالي مترجمة الى عدة لغات في العالم، ولا زالت تستحوذ نظر رجال الفكر والعلم تأليفاً وترجمة عنه.

ج ـ مؤلفاته :

اشتهر الغزالي في مجال التصنيف والتأليف، فوضع كثيراً من الرسائل والكتب، وفي مواضيع مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ احياء علوم الدين
٢ ـ المنقذ من الضلال
٣ ـ تهافت الفلاسفة
٤ ـ مقاصد الفلاسفة

٥ ـ ميزان العمل
٦ ـ القسطاس المستقيم
٧ ـ منهاج العارفين
٨ ـ الرسالة اللدنية
٩ ـ كيمياء السعادة
١٠ ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
١١ ـ مشكاة الانوار
١٢ ـ الرسالة الوعظية
١٣ ـ الجام العوام عن علم الكلام
١٤ ـ المضنون به على غير أهله
١٥ ـ الحكمة في مخلوقات الله
١٦ ـ معراج السالكين
١٧ ـ قواعد العقائد في التوحيد
١٨ ـ روضة الطالبين وعمدة السالكين
١٩ ـ الاربعين في أصول الدين
٢٠ ـ رسالة الطير

ورسائل أخرىٰ غيرها.

وهناك رسائل وكتب مشكوك في صحة نسبتها الى الغزالي.[1]

---

(١) راجع مؤلفات الغزالي، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي لمعرفة المزيد عن تصانيف الغزالي.

صفحات مصورة
من النسخة الأصلية للمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم ايها الولد العزيز والمحب المخلص اطال
الله بقاك في طاعته وسلك بك سبيل
احبابه ان منشور النصيحة يكتب من
معدن الرسالة صلى الله عليه وسلم فان
كان قد بلغك منه نصيحه فاي حاجه
لك في نصيحتي وان لم يبلغك فقل ماذا
حصلت في هذه السنين الماضية ايها
الولد من جملة ما نصح به رسول الله صلى
الله عليه وسلم امته انه قال من علامات
اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما
لا يعنيه وان امرء ذهبت ساعة من عمره
في غير ما خلق له لجدير ان يطول عليه
حسرته الى يوم القيمة ومن جاوز الاربعين
ولم يغلب عليه خيره شره فليتجهز الى النا
النار وفي هذه النصيحة كفاية لاهل العلم
ايها الولد النصيحة سهلة والمشكل
قبولها

الصفحة الأولى من المخطوط

قبولها لانها في مذاق متبع الهوى مرة
اذ المعاصي محبوبة في قلوبهم على الخصوص
من كان طالب العلم الرسمي ومشتغلا بفضا
يل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب
ان العلم المجرد له وسيلة وسيكون نجاته
وخلاصه فيه وانه مستغن عن العمل وهذا
من اعتقاد الفلاسفة سبحان الله العظيم انه
لا يعلم هذا القدر انه حين حصل العلم اذا
لم يعمل به يكون الحجة عليه اكد كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه وروي ان
الجنيد رحمة الله عليه رئي في المنام بعد وفاته
فقيل له ما الخبر يا ابا القاسم قال طاحت العبا
رات وفنيت الاشارات ما نفعنا الا ركيعات
ركعناها في جوف الليل ايها الولد لا تكن
من الاعمال مفلسا ومن الاحوال خاليا وتيقن
ان العلم المجرد لا يأخذ اليه مثاله لو كان على

الصفحة الثانية من المخطوط

اللهم اني اسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوا
مها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها
ومن العيش ارغده ومن العمر اسعده ومن الاحسان
اتمه ومن الانعام اعمه ومن الفضل اعذبه ومن
اللطف انفعه اللهم كن لنا ولا تكن علينا اللهم
اختم بالسعادة اجالنا وحقق بالزيادة امالنا
واقرن بالعافية غدونا واصالنا واجعل الى رحمتك
مصيرنا ومالنا اصبب سجال عفوك على ذنوبنا
ومن علينا باصلاح عيوبنا اجعل التقوى زادنا
وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا ثبتنا
على نهج الاستقامة واعذنا من موجبات الندامة
والفضيحة يوم القيمة خفف عنا ثقل الاوزار وار
زقنا عيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار
واعتق رقابنا ورقاب اباءنا وامهاتنا من النار
يا عزيز يا غفار برحمتك يا ارحم الراحمين
فايدة اذا كان الشخص منفردا عن مرشد
كامل او صديق ناصح فليطالع هذه النصايح حتى
تكون

الصفحة ما قبل الأخيرة من المخطوط

تكون نصب عينيه يرجوا من فضل الله ان لا يكون
للنفس والشيطان عليه اسيلاء ولا يقف عن الترقي
في احواله احديهما ان يعرف دقايق الريا حتى تكون
اعماله خالصة لوجه الله والثانية انه اذا اظفر بشيء
من مراتب الطريق لا يعجب به يتهم نفسه ويعتقد
انه ليس في العالم بضال مثله ويرى تقصيره في كل
عمل والثالثة يحسن الظن بالله ويقول ان الله يرزق
الظلمة والفساق والكفار والكلاب وساير المخلوقات
فلا يحرمني مما قدر لي من الرزق والرابعة لا يستعجل
في حصول المقصود والخامسة يعود نفسه على
تحمل اذاء الخاص والعام والصغير والكبير والمحب
والعدو والسادسة لا تحقرن مسلماً بعصيان صدر
منه لان الخاتمة مبهمة والسابعة يخاف من سوء
الخاتمة العياذ بالله والثامنة يقصر الامل بحيث
اذا صلى صلواة يعتقد انها آخر صلواته يعيش
الى صلواة اخرى ام لا والله الموفق للصواب
تمت هذه الوصية بعون الله الملك الوهاب

الصفحة الأخيرة من المخطوط

رسالة أيها الولد

الامام الغزالي

وهي من الكتب المشهورة والذائعة الصيت، ـ وخاصة بين أهل الذوق الصوفي ـ، والصحيحة نسبتها الى الامام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه.

ولكثرة اهتمام أهل العلم والمعرفة فقد قام الأقدمون باستنساخها والاعتناء بها على مر الأجيال، كما أخذ المعنيون، بدراستها، وطبعها في عدة أماكن، في وقتنا الحاضر. كما ترجم الكتاب الى عدة لغات وفي أقطار مختلفة من العالم كذلك.

والرسالة عبارة عن مجموعة من النصائح والارشادات وجهها الغزالي إلى أحد تلامذته لتكون له دستوراً ومنهجاً وطريقة له في حياته.

والنسخة التي اعتمدنا تحقيقها مودعة في خزان المخطوطات، في مكتبة الحضرة القادرية الشهيرة[٢] ضمن مجموعة تحمل رقم: ف ١٤٣٢، س ١٤١٨، وفيها كما قلنا نسخة أيها الولد:

وقد ورد في الجزء الخامس من الآثار الخطية في المكتبة القادرية، الاشارة التالية عن الرسالة:

(٢) للمزيد من المعلومات عن المكتبة القادرية وتاريخها راجع كتاب «مكتبة المدرسة القادرية العامة» للاستاذ نوري محمد صبري المفتي ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٨٢.

«أيها الولد: تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبي حامد (ت ٥٠٥) كشف الظنون ٢١٦، أوله:

«إعلم أيها الولد العزيز والمحب المخلص أطال الله بقاك في طاعته، وسلك بك سبيل أحبائه، انّ منشور النصيحة يُكتب من معدن الرسالة.»

«وآخره يعيش الى صلواتٍ أخرىٰ، أم لا، والله الموفق للصواب.

نسخة منه بخط نسق، تعليق، ترقىٰ الى القرن الثاني عشر، الاوراق: ١-١٧، ١٧ سطراً».[٣]

وقد أضفنا المقدمة الى المخطوطة القادرية من كتاب «رسالة أيها الولد» للامام الغزالي والمطبوع ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي» الذي طبع بعناية وتعليقات الاستاذ محمد مصطفى أبو العلا.

وفي الخاتمة لا يسعني إلا أن أتوجه بتقديم الشكر الجزيل للاستاذ نوري محمد صبري المفتي أمين المكتبة القادرية، الذي قدم لنا كل يد المساعدة والعون، والذي له الفضل الذي لاينسى، في تسهيل الامور لنا وللباحثين والمراجعين جميعاً في المكتبة القادرية.

جزاه الله خير الجزاء والعاملين معه.

أرجو الله أن يوفقني في عملي هذا، انه نعم الوكيل.

---

(٣) الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج٥ ص١٠٨.

بسم الله الرحمن الرحيم[٤]

المقدمة:

أيها الولد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبيّه محمد وآله أجمعين.

«إعلم: إنّ واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه، واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم، واستكمل من فضائل النفس، ثم انه فكر يوماً في حال نفسه وخطر على باله، فقال: إني قرأت أنواعاً من العلوم، وصرفتُ ريعان عمري على تعلمها وجمعها، فالآن ينبغي أن أعلم أي نوعٍ ينفعني غداً ويؤانسني في قبري وأيها لا ينفعني حتى أتركه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٤) هذه المقدمة غير موجودة في المخطوط الأصل، وقد اقتبسناها من كتاب (أيها الولد) المطبوع ضمن «مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي» بعناية وتعليقات محمد مصطفى أبو العلا، مصر، القاهرة، تاريخ الطبع غير موجود.

وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالي رحمة الله تعالى عليه، استفتاه: وسأل عنه مسائل، والتمس منه نصيحة ودعاء، وقال: وإن كان مصنفات الشيخ كالأحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلي، لكن مقصودي، ان يكتب الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة حياتي معي مدة حياتي، وأعمل بما فيها مدة عمري، إن شاء الله تعالىٰ، فكتب الشيخ هذه الرسالة إليه والله أعلم»[5]

أصل النسخة الخطية في المكتبة القادرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم أيها الولد العزيز والمحبّ المخلص، أطال الله بقاك في طاعته، وسلك بك سبيل أحبّائه، أنّ منشور النصيحة يكتبُ من معدن الرّسالة صلى الله عليه[6] وسلّم، فان كان قد بلغك منه نصيحة،[7] فأيّ حاجة لك في نصيحتي، وإن لم يبلغك فَقُلْ لي[8] ماذا حصّلت في هذه السّنين الماضية.

(٥) راجع ص١٢٣ من كتاب «مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي» في قسم: أيها الولد.
(٦) في الأصل ـ عليه ـ الياء بدون نقاط.
(٧) في الأصل ـ نصيحه ـ
(٨) في الأصل ـ فقلي ـ

١ ـ أيُّها الولد :

من جملة ما نصح به رسول الله صلى[9] الله عليه وسلم أمتهُ انه قال: (من علامات اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وان امرءاً[10] ذهبت ساعة من عمره في غير ما[11] خلق له لجدير أن تَطول عليه حسرتهُ[12] الى يوم القيامة، ومن جاوز الأربعين، ولم يغلب عليه خيرهُ شرّه، فليتجهز الى النار). [13]

وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم.

٢ ـ أيّها الولد :

النصيحة سهلة، والمشكل قبولها لأنّها في مذاق متبع الهوىٰ مُرّة، إذ المعاصي محبوبة في قلوبهم على الخصوص من كان طالب العلم الرسمي[14]، ومشتغلاً بفضائل[15] النفس، ومناقب الدنيا فانه يحسب انّ العلم المجّرد له وسيلة، وستكون نجاته وخلاصه فيه، وانه مستغن عن

(٩) في الأصل ـ صلي ـ
(١٠) في الأصل ـ وان امره ـ
(١١) في الأصل ـ لما ـ
(١٢) في الأصل ـ حسرتة ـ
(١٣) في الأصل ـ الى النار النار
(١٤) كذا ورد في الأصل: والعلم الرسمي: تعبير صوفي.
(١٥) في الأصل ـ بفضائيل ـ

العمل، وهذا من إعتقاد الفلاسفة، سبحان الله العظيم، انّه لا يعلم هذا القدر انّه حين حصل العلم، إذا لم يعمل به تكون[16] الحجة عليه آكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة[17] عالم لا ينفعه الله بعلمه، وروي انّ الجُنيد رحمة الله عليه رؤي[18] في المنام بعد وفاته، فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم؟

قال: طاحت العبارات، وفنيت الاشارات، ما نفعنا إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل.

٣ ـ أيّها الولد :

لاتكن من الأعمال مُفلساً، ومن الأحوال خالياً، وتيقن ان العلم المجرّد لا يأخذ إليه مثاله، لوكان علىٰ رجلٍ في بريّة عشرة أسياف هندية، مع أسلحة أخرى، وكان الرجل شُجاعاً وأهل حرب[19]، فحمل عليه أسد مهيب، ما ظنّك، هل تدفع الأسلحة شرّهُ عنه بلا إستعمالها وضربها، ومن المعلوم انها لا تدفع إلّا بالتحريك والضرب، فكذا لو قرأ[20] رجل

(١٦) في الأصل ـ يكون ـ
(١٧) في الأصل ـ القيمة ـ
(١٨) في الأصل ـ ريء ـ
(١٩) في الأصل ـ جرب ـ
(٢٠) في الأصل ـ قره ـ

مائة[21] ألف مسألة[22] علميّة علّمها وتعلّمها، ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل ومثاله.

٤ ـ أيّها الولد :

لوكان لرجلٍ حرارة أومرض صفراوي، يكون علاجه بالسكنجبيل والكشكاب، فلا يصل البرء إلا باستعمالها، ولو قرأت[23] العلم مائة[24] سنة[25]، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالىٰ إلا بالعمل، كما قال الله في التنزيل، تعالىٰ وتقدّس: «وأن ليس للانسان إلا ما سعىٰ»[26].

٥ ـ أيّها الولد :

فمن قال انّ هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام: إذا مات ابن آدم، انقطع عنه عمله إلّا عن ثلاث، الحديث، فالمنسوخ هو هذا القائل[27]، ولئن[28] كانت منسوخة فما تقول في قوله تعالىٰ: «فمن كان

(٢١) في الأصل ـ مائة ـ
(٢٢) في الأصل ـ مسئلة ـ
(٢٣) في الأصل ـ قرءت ـ
(٢٤) في الأصل ـ مائة ـ
(٢٥) في الأصل ـ سنه ـ
(٢٦) وضعنا الآية بين قوسين لتمييز كلامه تعالى عن بقية عبارات الكتاب الأخرىٰ.
(٢٧) في الأصل ـ القايئل ـ
(٢٨) في الأصل ـ ولئين ـ

يرجو[٢٩] لقاء ربّه، فليعمل عملاً صالحاً» و «جزاء بما كانوا يعملون» و «جزاء بما كانوا يكسبون»، «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، كانت لهم جنّات الفردوس، نزلاً خالدين» وآية، «إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً». .[٣٠]

وما تقول في هذا الحديث: بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً[٣١] رسول الله، وإقام الصلواة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت من إستطاع اليه سبيلا، والايمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، ودليل العمل أكثر من أن يحصى، وان كان العبد، يبلغ الجنّة بفضل الله تعالىٰ، وكرمه، ولكن بعد أن يشتغل بطاعته، لأنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ولو قيل يبلغ أيضاً بمجرد الايمان!! قلنا: نعم، لكن متى يبلغ؟ كم من عقبة كؤدة تستقبله، إلى أن يصل إلى الجنة!!

أول[٣٢] تلك العقبات عقبة الايمان، انّه هل يسلم من السلب أم لا، وإذا، والعياذ بالله يكون خائباً مُفلساً، قال الحسن رحمة الله تعالى عليه: يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا الجنة برحمتي وأقسموها بقدر أعمالكم.

---

(٢٩) في الأصل ـ يرجوا ـ
(٣٠) الاقواس من عندنا.
(٣١) في الأصل: محمدُ
(٣٢) في الأصل ـ الول ـ

٦ ـ أيّها الولد :

ما لم تعمل، لم تجد الأجر، وحُكي أن رجلاً من بني إسرائيل، عَبَدَ الله سبعين سنة[٣٣]، فأراد الله تعالى، أن يجلوه على الملائكة[٣٤]، فأرسل الله إليه ملكاً يخبره انه مع تلك العبارات لا يليق به، فلّما[٣٥] بلغه، قال له العابد: نحن خلقنا للعبادة، فينبغي[٣٦] لنا أن نعبده، فلّما رجع الملك قال الله تعالى: ماذا قال عبدي!! قال: إلهي وسيّدي أنت أعلم بما قال،،، فقال الله: إذا هو لم يعرض عن عبادتنا، فنحن مع الكرم لا نعرض عنه، اشهدوا يا ملائكتي[٣٧] اني قد غفرت له.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا أعمالكم، قبل أن توازنوا، وقال علي رضي الله تعالى عنه: من ظن انه بدون الجهد يصل فهومُتمن، ومن ظن انه ببذل الجهد[٣٨] يصل متعن.

وقال الحسن البصري: طلب الجنّة بلا عمل ذنب من الذنوب، وقال: عالم الحقيقة ترك ملاحظة[٣٩] العمل، لاترك العمل، وقال رسول

---

(٣٣) في الأصل ـ سنه ـ
(٣٤) في الأصل ـ الملايكة ـ
(٣٥) كلمة ـ فلما ـ مكررة مرتين والأولى نصفها ممسوح كما في أصل المخطوط.
(٣٦) في الأصل ـ فينبقي ـ
(٣٧) في الأصل ـ ملايكتي ـ
(٣٨) في الأصل ـ يبذل الجهد ـ والعبارة هنا لاتستقم اذ الصحيح ببذل.
(٣٩) في الأصل ـ ملاحضة ـ

الله صلى الله عليه وسلم : الكيّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

٧ ـ أيّها الولد :

كم ليالٍ أحييتها بتكرار العلم ، ومطالعة الكتب ، وحرّمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه ! إن كان بينه عروض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهات على الأقران والأمثال فويل لك ثم ويل لك ، ، وإن كان قصدك إحياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتهذيب أخلاقك ، وكسر النفس الأمّارة بالسوء ، فطوبىٰ لك ، ثم طوبىٰ لك ، ولقد صدق من قال :

سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير حسنك ضائع

٨ ـ أيّها الولد :

عش ما شئت[40] فإنك ميّت ، وأحبب ما شئت[41] فانك مفارق .

(٤٠) في الأصل ـ ما شيئت ـ
(٤١) في الأصل ـ ما شيئت ـ كذلك

٩ ـ أيها الولد :

فأيّ شيء حاصلك من تحصيل علم الأخلاق[42] والكلام والطب والدواوين والأشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف ، غير تضييع العمر ، بخلاف ذي الجلال ، اني رأيت في انجيل عيسىٰ عليه السلام قال : من ساعة أن يوضع الميّت على الجنازة ، إلى أن يوضع على شفير القبر ، يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالاً أولها :

يقول الله تعالى : عبدي طهّرت منظر الخلق سنين ، وما طهرت منظري ساعة ، وكل يوم ينظر الله في قلبك ، ويقول ما تصنع بغيري وأنت محفوف بخيري ، أما أنت أصم لا تسمع ، وفي هذا المعنى شعراً :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السّفينة لا تجري على اليبس
مال نفسك ترضى أن تدنسها
وثوب نفسك معوّلٌ من الدنس

١٠ ـ أيها الولد :

العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم ، لا يكون . . .. واعلم إنّ

(٤٢) في الأصل ـ الخلق ـ

العلم لا يسعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يسعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية، تقول غداً: يوم القيامة، فارجعنا نعمل صالحاً، فيقال: يا أحمق أنت من هناك تجيء.[٤٣]

١١ ـ أيها الولد:

اجعل الهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في البدن، لأن منزلك القبر، وأهل القبور[٤٤] ينظرونك في كل لحظة[٤٥]، متىٰ تصل إليهم، إياك، إياك، أن تصل إليهم، بلا زاد!!. قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: هذه[٤٦] الأجساد، إمّا قفص الطيور أو اصطبل الدّواب، فتفكر في نفسك من أيهما أنت، إن كنت من الطير العلوي، فحين تسمع طنين طبل، ارجعي، تطير صاعداً، إلى أن، تقعد، في أعلى[٤٧] بروج الجنان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهتز عرش الرحمٰن لموتِ سعد إبن معاذ، والعياذ بالله، ان كنت، من الدّواب، كما قال الله تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضل»[٤٨]، فلا تأمن[٤٩] انتقالك[٥٠] من زاوية

(٤٣) في الأصل ـ تجي ـ
(٤٤) في الأصل ـ القبول ـ
(٤٥) في الأصل ـ لحضة ـ
(٤٦) في الأصل ـ هذا ـ
(٤٧) في الأصل ـ أعلا ـ
(٤٨) وضعنا الآية بين قوسين.
(٤٩) في الأصل ـ تامن ـ
(٥٠) في الأصل ـ انقالك ـ

الدار الى هاوية النار، وروي ان الحسن البصري رحمة الله عليه: أعطي شربة من ماء بارد، فلما أخذ القدح غشي عليه، وسقط من يده، فلما أفاق، قيل له: مالك يا أبا سعيد، ذكرت امنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة، أن أفيضوا علينا من الماء.

١٢ ـ أيها الولد[٥١]:

لو كان العلم المجّرد، كافياً لك، ولا تحتاج إلى عملٍ سواه، لكان نداؤه[٥٢] سبحانه وتعالى: هل من سائل[٥٣]!! وهل من مستغفرٍ!! وهل من تائبٍ[٥٤]!! ضائعاً[٥٥] بلا فائدة.[٥٦]

روي إن جماعة من الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين، ذكروا عبدالله ابن عمر رضي الله تعالى عنه، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام: نعم الرجل هو، لو كان يصلي بالليل. وقال صلى الله عليه وسلم لرجلٍ من الصحابة يا فلان لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم يدع صاحبه[٥٧] فقيراً يوم القيامة[٥٨].

(٥١) ألف من ـ الولد ـ ساقط في الأصل.
(٥٢) في الأصل ـ نداءه ـ
(٥٣) في الأصل ـ سايل ـ
(٥٤) في الأصل ـ تايب ـ
(٥٥) في الأصل ضايعاً ـ
(٥٦) في الأصل ـ فايدة ـ
(٥٧) في الأصل ـ صاحب ـ كذا ورد.
(٥٨) في الأصل ـ القيمة ـ

١٣ ـ أيها الولد :

ومن الليل فتهجد به نافلة لك أمرٌ، وبالأسحار هم يستغفرون شكرٌ، والمستغفرون بالأسحار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة[٥٩] أصوات يحبها الله تعالىٰ، صوت الدّيك، وصوت الذي يقرأ[٦٠] القرآن[٦١]، وصوت المستغفرين بالأسحار، وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه :

انّ الله تبارك وتعالى يخلق ريحاً تهب وقت الأسحار، تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار.

وقال أيضاً :

اذا كان أوّل الليل ينادي منادٍ، من تحت العرش : ألا ليقم العابدون، فيقومون، ويصلون ما شاء الله تعالىٰ، ثم ينادي منادٍ شطر الليل : ألا ليقم القانتون فيقومون[٦٢] ويصلون إلى السحر، فاذا كان السحر ينادي منادٍ : ألا ليقم المستغفرون فيقومون ويستغفرون، فاذا طلع الفجر نادى[٦٣] منادٍ : ألا ليقم الغافلون، فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

---

(٥٩) في الأصل ـ ثلثة ـ
(٦٠) في الأصل ـ يقرء ـ
(٦١) في الأصل ـ القراءن ـ
(٦٢) في الأصل ـ فيقون ـ
(٦٣) في الأصل ـ نادا ـ

١٤ ـ أيّها الولد :

روي في وصايا لقمان الحكيم لابنه انه قال : يا بُنيٍّ لا يكونن الدّيك أكيس منك يُنادي[٦٤] بالأسحار وأنت نائم.

ولقد أحسن من قال شعراً :

لقد هتفت في جنح ليلٍ حمامة
على فنن وهنّ واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتني بالبكاء الحمائمَ[٦٥]
فازعم انّي هائمٌ ذو صبابة
لربي ولا أبكي وتبكي البهائمِ[٦٦]

١٥ ـ أيّها الولد :

خلاصة العلم : أن تعمل أن الطاعة والعبادات ما هي؟ إعلم، الطاعة والعبادات، متابعة الشارع في الأوامر والنواهي، بالقول والفعل، يعني كل ما تقول وتفعل وتترك يوافق قوله وفعله، بأن يكون باقتداء الشرع، كما لو صمت يوم العيد وأيّام التشريف تكون عاصياً، أو صلّيت

---

(٦٤) في الأصل ـ ينادى ـ الياء الاخيرة بلا نقاط
(٦٥) في الأصل ـ الحـ ٩مى ـ
(٦٦) في الأصل ـ البهائمي ـ

ثوب مغصوب، وإن كان صورته عبادة(٦٧) تأثم. (٦٨)

١ ـ أيّهـــا الولـــد :

فينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع، إذ العلم والعمل
لا إقتداء الشرع ضلالة.

وينبغي لك أن لا تغتر بشطح الرقص وطامات الصوفية(٦٩) لأن
لوك هذا الطريق، يكون بالمجاهدة، وقطع شهوة النفس، وقتل هواها
يف الرياضة لا بالطامات والنزهات بالظلمات.

واعلم انّ اللّسان المطلق والقلب المحلق بالغفلة(٧٠)، والشهوة(٧١)
لامة الشقاوة حتى لا تقتل نفسك بصدق المجاهدة، لن تحيي قلبك بأنوار
افقة.

وأعلم ان بعض مسائلك(٧٢) التي سألتني(٧٣) لا يستقيم جوابه
كتابة والقول، بل أن تبلغ تلك الحالة(٧٤)، تعرف ما هي؟ وإلاّ فعلمها
المستحيلات، لأنّها ذوقيّ، وكلما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول

(٦٧) في الأصل ـ عباده ـ التاء بلا نقاط
(٦٨) في الأصل ـ تاثم ـ
(٦٩) في الأصل ـ الصوفيه ـ التاء بلا نقاط
(٧٠) في الأصل ـ بالغفله ـ التاء بلا نقاط
(٧١) في الأصل ـ والشهوه ـ التـء بلا نقاط
(٧٢) في الأصل ـ مسايلك ـ
(٧٣) في الأصل ـ سالتني ـ
(٧٤) في الأصل ـ الحالة ـ التاء بلا نقاط

كحلاوة الحلو ومرار المرّ، لا يُعرف إلا بالذوق، كما حكيّ انّ عنّيناً كتب إلى صاحبٍ له أن عرّفني لذة المجامعة، فكيف تكون!!

فكتب في جوابــه: يا فلان اني كنت أحسبــك عنّيناً فقـط، والآن عرفت انـك عنّينـاً وأحمق، ثم إعلم انّ هذه اللذة ذوقيـة، ان تصـل إليهـا تعرف، وإلاّ فلا يستقيم وصفها بالقول والكتابة.

١٧ ـ أيّهـــا الولـــد (٧٥):

بعض مســائلك من هذا القبيــل، وأمـا البعض الـذي يستقيم له الجـواب، فقـد ذكـرناها في الأحياء(٧٦) وعيره، ونذكرها هنا نُبذاً منه ونشير إليه فنقول: أولّ الأمر، الواجب على سالك الطريق، اعتقادٌ صحيح، لا يكون فيه بدعة، والثاني: توبة نصوح لا ترجع بعدها إلى الزّلة. الثالث: إسـترضـاء خصـوم حتى لا يبقى لأحـدٍ عليك حق، والرابع تحصيل علم الشريعة قدر ما يؤدي به أوامر الله تعالىٰ، ثم من علوم الآخرة ما يكون فيه النّجـاة فالـزيادة على هذا القدر ليس بواجب، وهذا الكلام يكون مفهوماً مع حكاية، حُكيّ أن أبا بكر الشبلي رحمة الله تعالىٰ عليه خدم ارلابعمائة استاذ(٧٧) وقال: قرأت منهم أربعمائة(٧٨) ألف حديثٍ، واخترت منها حديثاً واحــداً، وعـملت به، وخليت ما سواه، لأني تأملتــه فوجــدت خلاصي

(٧٥) في الأصل ـ أيها لولد ـ بسقوط الألف من الولد
(٧٦) المقصود «احياء علوم الدين» وهي من أهم وأشهر كتب الغزالي.
(٧٧) في الأصل ـ اربعمائة استاد ـ
(٧٨) في الأصل ـ أربعماية ـ

ونجاتي فيه، وكان علم الأوّلين مندرجاً فيه فاكتفيت به وذلك[٧٩] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل[٨٠] لآخرتك[٨١] بقدر بقائك[٨٣] فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها، وإذا أردت أن تعصيّ مولاك، فاطلب مكاناً لا يراك.

١٨ ـ أيّها الولد [٨٣]:

إذا عملت بهذا الحديث، لا حاجة لك في علم كثير، وتأمل في حكاية أخرى وهي: انّ حاتم الأصمّ كان من أصحاب شقيق البلخي رحمهما الله تعالى فسأله[٨٤] يوماً وقال:

انك صاحبي منذ ثلاثين[٨٥] سنةً، فما حاصلك فيها؟

قال: حصّلت ثمانية فوائد[٨٦] من العلم، وهي تكفيني منه لأنّي أرجو نجاتي وخلاصي فيه.

فقال شقيق: ما هي؟

---

(٧٩) في الأصل ـ وذالك ـ
(٨٠) في الأصل ـ وعمل ـ
(٨١) في الأصل ـ لا اخرتك ـ
(٨٢) في الأصل بقائيك ـ
(٨٣) في الأصل ـ لولد ـ
(٨٤) في الأصل ـ فسئله ـ
(٨٥) في الأصل ـ ثلثين ـ
(٨٦) في الأصل ـ فوائد ـ

قال حاتم: الفائدة[٨٧] الأولى اني نظرت إلى الخلق فرأيت[٨٨] لكل واحدٍ منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت، وبعضه إلى شفير القبر، ثم يرجع كلّه ويتركونه وحيداً فريداً، ولا يدخل منه في قبره منهم أحدٌ، فتفكرت، وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنّسه[٨٩] فيه، فما وجدته إلّا الأعمال الصالحة، وأخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً في قبري ويؤنسني[٩٠] ولا يتركني فريداً.

الفائدة[٩١] الثانية: إني رأيت الخلق يعبدون اهواءهم، ويبادرون إلى مدارات أنفسهم، فتأملتُ في قوله تعالىٰ:

«وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ فان الجنّة هي المأوىٰ»[٩٢]، وتيقنت إن القرآن حقٌّ صادقٌ، فبادرت إلى خِلاف نفسي، وتشمرتُ لمجاهدتها وما متعتها بهواها، حتى ارتاضت في طاعة الله وانتقياده لها[٩٣]

الفائدة[٩٤] الثالثة: اني رأيت كل واحدٍ من الناس يسعىٰ في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه فتأملت في قوله تعالىٰ: «ما عندكم

---

(٨٧) في الأصل ـ الفائدة ـ
(٨٨) في الأصل ـ فرايت ـ
(٨٩) في الأصل ـ ويونّسه ـ
(٩٠) في الأصل ـ ويونسني ـ
(٩١) في الأصل ـ الفائدة ـ
(٩٢) القوسين من عندنا، وذلك لتمييز كلام الله تعالى عن باقي عبارات الكتاب
(٩٣) في الأصل ـ وانتقادة ـ
(٩٤) في الأصل ـ الفائدة ـ

ينفذ وما عند الله باقٍ»[٩٥]، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرّقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله .

الفائدة[٩٦] الرابعة : انّي رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزّه في كثرة[٩٧] الأقوام والعشائر[٩٨] فيغتر بهم ، وزعم آخرون انه في ثروة المال وكثرة الأولاد فيفتخر بها ، وحسب بعضهم أنّ العزّة والشرف في غصب أموال الناس ، وظلمهم ، وسفك الدماء ، واعتقدت[٩٩] طائفة[١٠٠] انّه ، في اتلاف المال واسرافه وتبذيره ، فتأملت في قوله تعالىٰ : «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»[١٠١] ، فاخترتُ[١٠٢] التقوى واعتقدتُ[١٠٣] ان القرآن صادقٌ وظنّهم وحسابهم كلها باطلة .

الفائدة[١٠٤] الخامسة : انّي رأيتُ الناس يذّم بعضهم بعضاً ، ويغتاب بعضهم بعضاً فوجدتُ[١٠٥] ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم

---

(٩٥) وضعنا الآية الكريمة بين قوسين
(٩٦) في الأصل - الفايدة -
(٩٧) في الأصل - كثرت -
(٩٨) في الأصل - العشاير -
(٩٩) في الأصل - واعتقدة -
(١٠٠) في الأصل - طايفة -
(١٠١) الآية الشريفة بين قوسين
(١٠٢) في الأصل - فاخترة -
(١٠٣) في الأصل - واعتقدة -
(١٠٤) في الأصل - الفايدة -
(١٠٥) في الأصل - فوجدة -

فتأملت في قوله تعالى : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة[١٠٦] الدنيا» .[١٠٧]، فعلمت انّ القسمة كانت من عند الله تعالى في الأزل فما حسدت[١٠٨] أحداً ورضيت بقسمة الله تعالىٰ .

الفائدة[١٠٩] السادسة : انّي رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض أو سبب ، فتأملت في قوله تعالى : «انّ الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً»[١١٠] ، وعلمت انه لايجوز عداوة أحدٍ غير الشيطان .

الفائدة[١١١] السابعة : انّي رأيتُ كلّ أحدٍ يسعىٰ بجد ويجتهد بمبالغةٍ لطلب القُوت والمعاش بحيث يقع في شبهة[١١٢] حرام ، ويذل نفسه ، وينقص قدره ، فتأملت في قوله تعالىٰ وما من دابّةٍ في الأرض إلا على الله رزقها»[١١٣] ، فعلمت إن رزقي على الله قد ضمنه ، فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عمّن سواه .

---

(١٠٦) في الأصل - في الحيواة -
(١٠٧) وضعنا الآية بين قوسين .
(١٠٨) في الأصل - فما حسدة -
(١٠٩) في الأصل - الفايدة -
(١١٠) وضعنا الآية بين قوسين
(١١١) في الأصل -الفايدة -
(١١٢) في الأصل - شبهه -
(١١٣) الآية بين قوسين .

الفائدة(١١٤) الثامنة : إني رأيت كل أحدٍ معتمداً إلى شيء مخلوق بعضهم، الى الدنيا والدراهم، وبعضهم الى المال والملك، وبعضهم، إلى الحرفة والصناعة وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى : «ومن يتوكل على الله فهو حسبه . . . الآية»(١١٥) فتوكلت على الله فهو حسبي ونعم الوكيل هو.

فقال شقيق : وفقك الله اني نظرت في التورات والانجيل والزبور والفرقان فوجدت (١١٦)الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد(١١٧) الثمانية، فمن عمل بها كان عاملاً بالكتب الاربعة. (١١٨)

١٩ ـ أيّها الولد (١١٩):

قد علمت من هاتين(١٢٠) الحكايتين انك لا تحتاج إلى تكثير العلم، والآن أبيّن لك ما يجب على سالك سبيل الحق(١٢١): اعلم انّه ينبغي للسالك من شيخ مرشدٍ مربٍ ليخرج الأخلاق السوء(١٢٢) منه، بتربيته،

(١١٤) في الأصل ـ الفائدة ـ
(١١٥) وضعنا الآية بين قوسين.
(١١٦) في الأصل ـ فوجدة ـ
(١١٧) في الأصل ـ الفوايد ـ
(١١٨) في الأصل ـ الاربعه ـ التاء بلا نقاط
(١١٩) في الأصل ـ لولد ـ بسقوط الألف من أول الكلمة.
(١٢٠) في الأصل ـ هذين ـ
(١٢١) في الأصل ـ الحلق ـ والمعنى لا يستقيم به كما هو واضح.
(١٢٢) الأحرى : السيئة

شبه فعل الفلاح الّذي يقطع الشوك ويخرج النبّات الأجنبية بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ربيعه، فلا بُدّ للسالك من شيخ يربيه ويرشده الى سبيل الله تعالى، وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يكون عالماً، لان كل عالِمٍ يصلح له، وانّي أبين لك بعض علامته على سبيل الاجمال حتى لا يدّعي كل احدٍ انّه مرشد، فنقول هو من يعرض عن حبّ الدنيا وحبّ الجاه، وكان تابعاً(١٢٣) لشخصٍ بصير بتسلسل متابعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان يكون محسناً رياضة نفسه من قلة(١٢٤) الأكل والشرب والقول والنوم وكثرة(١٢٥) الصلوات والصّوم والصّدقة، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق لهُ سيرة، كالصبر، والشكر، والتوكل، واليقين، والسخاوة، والقناعة، والأمانة وطمأنينة(١٢٦) النفس وبذل المال والحِلم، والتواضع، والعلم، والصدق، والحياء، والوفاء، والوقار، والسكون، والتأني، وامثالها، فهو إذاً نورٌ من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ويصلح للاقتداء، لكن وجود مثله نادرٌ أعزّ من الكبريت الأحمر، ومن ساعدته السعادة يجد شيخاً كما ذكرنا، ويقبله الشيخ، فينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً، أما الاحترام (١٢٧) الظاهر فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج

(١٢٣) في الأصل ـ تابع ـ
(١٢٤) في الأصل ـ قلت ـ
(١٢٥) في الأصل ـ وكثرت ـ
(١٢٦) في الأصل ـ وطمانينة ـ
(١٢٧) في الأصل ـ الاحرام ـ

معه في كل مسألة[١٢٨]، وان علم خطأه[١٢٩] ولا يلقي سجادته بين يديه إلاّ وقت الصلوات، فاذا فرغ يرفعها، ولا يكثر نوافل الصلوات بحضرته[١٣٠]، ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاقته.

وأما الاحترام الباطن، فهو أنّ مايسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن، لا فعلاً ولا قولاً، لئلا يتسم[١٣١] بالنفاق، فان لم يستطع، يترك صحبته، إلى أن يوافق باطنه ظاهرة، ويحترز عن مجالسة صاحب السّوء، ليقصر ولاية شياطين الجن والانس، عن صحن قلبه، فيصفي عن القوة الشيطانية، وعلى كل حال، يختار الفُقر.

اعلم ان التصوف له خصلتان: الاستقامة مع الله والسّكون مع الخلق، فمن استقام مع الله، وأحسن خلقه مع الناس، وعاملهم بالحلم، فهو صوفيّ.

والاستقامة مع الله يفدي حظ نفسه على أوامر الله تعالىٰ، وحسن بالخلق، بالناس، أن لا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم، ما لم يخالفوا الشرع، ثم انك سألتني[١٣٢] عن العبودية، وهي ثلاثة أشياء:

أحدها: محافظة أمر الشرع.

(١٢٨) في الأصل - مسئلة -
(١٢٩) في الأصل - خطاءه -
(١٣٠) في الأصل - بحظرته -
(١٣١) في الأصل - يتبسم -
(١٣٢) في الأصل - سالتني -

وثانيها: الرضاء[١٣٣] بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى.

وثالثها: ترك رضاء نفسك في رضاء الله تعالى.

وسألتني[١٣٤] عن التوكل، وهو أن تستحكم إعتقادك بالله فيما وعد، يعني تعتقد أنّ ما قُدِّر لك سيصل إليك، وما لم يكتب لك لا يصل[١٣٥] إليك[١٣٦] وان ساعدك جميع العالم.

وسألتني[١٣٧] عن الاخلاص: وهو أن تكون أعمالك كلها لله، لا يرتاح قلبك بمحامدة الناس بمذمتهم.

واعلم انّ الرّياء يتولدُ من تعظيم الخلق، وعلاجه أن تراهم مسخرين للقدرة[١٣٨] وتحسبهم كالجامدات في عدم قدرة إيصال الراحة[١٣٩] والمشقة، لتخلص من مراياتهم ومتى تحسبهم ذوي قدرةٍ وارادةٍ لن يبعد عنك الرياء.

٢٠ - أيّها الولد:

الباقي من مسائلك[١٤٠] مسطور في مصنفاتي فاطلب ثمنه، وكتابة

(١٣٣) في الأصل - الرضا -
(١٣٤) في الأصل - وسئلتني -
(١٣٥) في الأصل - لاتصل -
(١٣٦) في الأصل - إليه -
(١٣٧) في الأصل - وسئلتني -
(١٣٨) في الأصل - للقدره -
(١٣٩) في الأصل - الراحة -
(١٤٠) في الأصل - مسٰائلك -

بعضها حرام، فاعمـل أنت بها تعلم، لينكشف لك ما تعلم، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.

٢١ ـ أيّهـــا الولـــد :

بعـد اليـوم سألتني ما أشكـل بلسـان الجنـان «ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم» الآية . . ، واقبل نصيحة الخضر عليه السلام، «فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.».

ولا تستعجـل حتى تبلغ أوانـه، ويكشف لك، وتـراه، «سأريكم آياتي فلا تستعجلون.»

فلا تسأل [١٤١] قبـل الـوقت وتيقن انـك لا تصـل إلا بالسـير : «أولم يسيروا في الأرض، فينظروا».

٢٢ ـ أيّهـــا الولـــد [١٤٢]:

بالله أن تنسى [١٤٣]، ترى العجـائب في كل منـزل، ابـذل روحك، فان رأس هذا الأمر، بذل الروح، كما قال ذو النون المصري رحمة الله تعالى

---

(١٤١) فلا ـ تسئل ـ
(١٤٢) في الأصل ـ لولد ـ
(١٤٣) الكلمة في الأصل غير واضحة وكتبت بالشكل الآتي : ـ تسى ـ فقدرناها تنسى.

عليه، لواحدٍ من تلامذته، إنْ قدرت [١٤٤] على بذل الروح، فتعال، وإلا فلا تشتغل بنزهات الصوفية.

٢٣ ـ أيّهـــا الولـــد :

إني أنصحـك بثـمانيـة أشيـاء، اقبلهـا لئلا يكون عليك، خصماً يوم القيمة، تعمل منها، بأربعة، وتدع منها أربعة، أمّا اللّواتي تدع إحداها، أن تناظر أحداً في مسألة [١٤٥] ما استطعت لأن فيها آفة كثيرة، واثمها، اكبر من نفعهـا، اذ هي منبـع كل خلق ذميم كالـريـاء والحسـد والكـبر والحقد والعـداوة والمباهـات وغيرها، نعم وقعت مسألة [١٤٦] بينك وبين شخص أو قومٍ وكـانت [١٤٧] ارادتـك فيهـا أن يظهـر الحق، ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الارادة علامتـان احـدهما، أن لا تفـرق بين أن ينكشف الحـال على لسانك أو على لسان غيرك.

والثـانيـة : ان يكـون البحث في الخلاء أحبّ اليك من ان يكون في الملاء واسمع إني اذكر لك هنا فائدة [١٤٨] :

---

(١٤٤) في الأصل ـ قدره ـ
(١٤٥) في الأصل ـ مسئلة ـ
(١٤٦) في الأصل ـ وقع مسئلة ـ
(١٤٧) في الأصل ـ وكان ـ
(١٤٨)في الأصل ـ فائدة ـ

اعلم ان السؤال عن المشكلات عرض مَرَض القلب، الى الطبيب، والجواب له سعيٌ لاصلاح مرضه، واعلم ان الجاهلين، المرضى قلوبهم، والعلماء الاطباء، والعالم الناقص لا يحسن المعالجة، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو[149] فيه قبول المعالجة والصلاح، وأما إذا كانت العلّة مزمنة أو عقيماً، لا يقبل العلاج فحذاقة الطبيب فيه، ان يقول: هذا لا يقبل العلاج، فلا يشتغل بمداواته، لان فيه تضييع[150] العمر.

ثم اعلم ان مرض الجهل، على اربعة أنواع:

احدها يقبل العلاج، والباقي لا يقبل العلاج، أما الذي لا يقبل، احدها ان يكون سؤاله واعتراضه من حسدٍ وبغضٍ، فكلما تجيبه بأحسن الجواب وأفصحه وأوضحه لا يزيده ذلك[151] إلاّ غيظاً وحسداً، فالطريق أن لا يشتغل بجوابه شعراً:

كل العداوة قد ترجىٰ إزالتها

إلا عداوة من عاداك في حسد[152]

وينبغي إن تعرض عنه وتتركه مع مرضه، قال الله تعالىٰ: «فأعرض عمن تولّى ذكرنا ولم يرد إلا الحياة[153] الدنيا»، والحسود بكل ما يقول

(١٤٩) في الأصل - يرجوا -
(١٥٠) في الأصل - تضيع -
(١٥١) في الأصل - ذالك -
(١٥٢) في الأصل - في حدٍ -
(١٥٣) في الأصل - الحيواة -

ويفعل يوقد النار في زرع عمله الحسد، ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

والثاني ان تكون علته من الحماقة وهي أيضاً لا يقبل العلاج كما قال عيسى إبن مريم عليه السلام: انّي ما عجزت من أحياء الاموات[154] وقد عجزت عن معالجة الأحمق، وذلك[155] رجل يشتغل بطلب العلم زماناً قليلاً ويتعلم بشيءٍ من العلوم، العقلي والشرعي، فيسأل ويتعرض من حماقته على الكبير الممضي عمره في العلوم العقلية والشرعية[156]، وهذا الاحمق لا يعلم ولا يزعم ان ما اشكل عليه هو أيضاً مشكل على العالم الكبير، فاذا لم يتفكر هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة، فينبغي أن لا يشتغل بجوابه لان جوابه، الاحمق، السكوت.

الثالث: أن يكون مسترشداً وكلّما لا يفهم من كلام الأكابر يحمله على قصور فهمه، وكان سؤاله للاستفادة، لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق[157]، فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضاً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نتكلم مع الناس بقدر عقولهم)، وأما المرض الذي يقبل العلاج، هو أن يكون مسترشداً عاقلاً فهماً لا يكون مغلوب الحسد والغضب والشهوة والجاه والمال.

(١٥٤) في الأصل - الا لموات -
(١٥٥) في الأصل - وذالك -
(١٥٦) في الأصل - العقلي والشرعي -
(١٥٧) في الأصل - الحقائِق -

ويكون طالب الطريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه من حسدٍ وتعنتٍ وإمتحانٍ، وهذا يقبل العلاج، فيجوز أن يشتغل بجوابه، بل يجب عليك اجابته.

والثاني: مما تدع، وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظاً أومذكراً، لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولاً، ثم تعظ به الناس، وتفكر فيما قيل لعيسىٰ عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك، فان اتعظت فعظ الناس، والا فاستحي من ربّك، وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز من خصلتين الأولى عن التكلف في العبارات والاشارات والطّامات والأبيات والأشعار لأن الله تعالى يبغض المتكلفين والمتكلف المتجاوز عن الحد، وهو يدل على خراب الباطن وغفلة القلب، ومعنى التذكير أن يذكر العبد الآخرة، وتقصير نفسه في خدمة الخالق، ويتفكر في عمره الماضي، الذي أفناه فيما يعنيه ويتفكر فيما بين يديه من العقبات العظيمة، نحو الخروج من الدنيا، مع سلامة الايمان في الخاتم، وكيفية حاله في قبضة[158] ملك الموت، وهل يقدر على جوابِ منكرٍ ونكير، ويهتم بحاله في القيامة[159] وموافقتها وهل يعبر على الصراط سالماً، أم يقع، في الهاوية، ذكرُ هذه الاشياء يستمر في قلبه فيزعجه عن قراره، فغليان هذه النيران وتوجه هذه المصائب تسمى تذكيراً وإعلاماً للخلق، واطلاعهم[160] على هذه الاشياء

(158) في الأصل - قبظة -
(159) في الأصل - القيمة -
(160) في الأصل - طّلاعهم -

وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم بتصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران أهل المجلس وتجّرعهم تلك المصائب[161] ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة، ويتحسر على الأيام الماضية، في غير طاعة الله تعالىٰ، هذه الجملة على هذه الطريقة، تسمى وعظاً كما لو رأيت السيل[162] قد هجم على دار أحدٍ وكان هو مع أهله فيها، تقول: الحذر الحذر! من سبيل المسيل، وهل يشتهي قلبك وأنت في هذه الحالة أن تُخبر صاحب الدار بتكلف العبارات والنكت والاشارات، فلا تشتهي، البتة، فكذلك[163] حال الوعظة، فينبغي أن تجنب عنها.

والخصلة الثانية: ان لا يكون همك في وعظك أن يغر[164] الخلق في مجلسك ويظهر الوجد ويشقق الثياب، ليقال: نعم المجلس هذا، لأنّ كلّه مشيّد الرّياء، وهويتولد من الغفلة بل ينبغي أن يكون عزمك وهمتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية الى الطاعة، ومن الحرص الى الزهد، ومن البخل الى السخاوة، ومن الشك الى اليقين، ومن الغفلة الى اليقظة، ومن الغرور الى التقوى، وتحبب اليهم الآخرة، وتبغض اليهم الدنيا وتعلمهم علم العبادات والزهد لان الغالب في طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعي فيما لايرضي الله تعالىٰ به والاشتغال بالأخلاق الرديئة[165] فالق[166] في قلوبهم الرعب وروّعهم

(161) في الأصل - المصايب -
(162) في الأصل - رايت السبيل -
(163) في الأصل - فكذالك -
(164) في الأصل - تغر -
(165) في الأصل - الردية -
(166) في الأصل - قالق -

وحذرهم عمّا يستقبلون إليه من المخاوف لعل صفات[١٦٧] باطنهم تتغير، ومعاملة ظاهرهم تتبدل ويظهر الحرص والرغبة في الطاعة والرجوع عن المعصية، وهذا طريق الوعظ والنصيحة، وكل وعظٍ لا يكون هكذا، فهو وبالٌ، على من قال وسمع، بل قيل انه غول وشيطان يذهب بالخلق فيهلكهم فيجب عليهم أن يفرّوا منه لأن ما يفسد هذا القائل[١٦٨] الجاهل من دينهم، لا يستطيع عليه الشيطان، ومن كان له يدٌ وقدرةٌ يجب عليه أن ينزله من منابر المسلمين ويمنعه عما باشر، فانه من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثالث، مما تدع، : أن لا تخالط الأمراء والسلاطين، ولا تراهم، لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفةٌ عظيمة، ولو ابتليت من غير اختيار، بها، دع عنك مدحهم، وثناءهم، لان الله تعالىٰ، يغضب، إذا مُدِحَ الفاسق والظّالم ومن دعا بطول عمره، فقدْ أحب ان يعصي الله تعالى في أرضه.

والرابع مما تدع: أن لا تقبل شيئاً[١٦٩] منَ عطايا الأمراء وهداياهم، وان علمت انها من الحلال، لأن الطمع منهم يفسد الدين، لانه يتولد منه المداهنة[١٧٠] ومراعات جانبهم، والموافقة بظلمهم، وهذا كله فسادٌ، في الدين، وأقل مضرته انك إذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنانيرهم

(١٦٧) في الأصل ـ صفاتهم ت ـ
(١٦٨) في الأصل ـ القايل ـ
(١٦٩) في الأصل ـ شيأء ـ
(١٧٠) في الأصل ـ المداهنه ـ التاء بلا نقاط ـ

احببتهم ومن أحبّ أحداً يجب طول عمره وبقائه بالضرورة، وفي محبة بقاء الظالم إرادة الظلم على عباد الله وارادة خراب العالم، فأي شيء أضر من هذا بالدين والعافية، وإياك إياك أن تخدع باستهواء الشيطان ويقول بعض الناس: لك الأفضل والأولىٰ أن تأخذ[١٧١] منهم الدينار، والدرهم وتفرّقه بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون في الفسق والمعصية، وانفاقك على ضعفاء الناس خيراً، من انفاقهم، فانّ اللّعين قد قطع اعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة وآفته فاشٍ، كثيرة، قد ذكرناها في احياء علوم الدين، فاطلبه ثمّة.

٢٤ ـ أيّها الولد :

ينبغي لك أن تحترز من هذه الاربعة[١٧٢] فانها من المتروكات وأما الأربعة التي ينبغي لك أن تفعلها:

الأول: أن تجعل معاملتك مع الله بحيث لو عامل معك بها عبدٌ ترضى منه ولا يضيق خاطرك عليه وتغضب، وما لا ترضى منه نفسك من عبد المجازي لا يرضى وهو سيّدك الحقيقي.

والثاني مما تعمل: كلّما عاملت بالناس اجعل كما ترضىْ لنفسك منهم، لانه لا يكمل إيمان عبد حتى يجب لسائر الناس ما يحب لنفسه.

(١٧١) في الأصل ـ تخذ ـ
(١٧٢) في الأصل ـ الاربعه ـ

والثـالث : اذا قرأت(١٧٣) العلم أوطالعتـه، ينبغي أن يكـون علماً يصلح قلبك ويـزكي نفسـك كما لوعلمت انّ عمرك ما بقى غير اسبوعٍ ، فبـالضـرورة أن لا تشتغـل فيهـا بعلم الفقـه والخـلاف والاصـول والكلام وأمثـالهـا لانـك تعلم ان هذه العلوم لا تفيـدك بل تشتغـل بمـراقبة القلب ومعـرفـة صفـات النفس والاعراض عن علائق(١٧٤) الدنيا، وتزكي نفسك عن الأخـلاق الـذميمـة، وتشتغـل بمحبة الله تعالى وعبادته ، والاتصاف بالاوصـاف الحسنـة، ولا يمرّ على العبد يوم وليلة(١٧٥) إلا ويمكن ان يكون موته فيه.

٢٥ ـ أيّهـــا الولـــد :

اسمـع مني كلامـاً آخـر وتفكر فيه تجد خلاصاً، لو انك أخبرت ان السلطان بعد اسبوع يجيئك(١٧٦) زائراً اعلم انك لا تشتغل في تلك المدّة إلاّ باصـلاح ما علمت انّ نظـر السلطـان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفرش وغيرها.

والآن تفكـر الى ما أشـرتُ به فانـك فَهِمٌ، والكـلام الفـرد يكفي الـكيّس، قال رسـول الله صلى الله عليــه وسلم، (ان الله لا ينظـر الى

(١٧٣) في الأصل ـ قراءة ـ
(١٧٤) في الأصل ـ علايق ـ
(١٧٥) في الأصل ـ وليله ـ التاء بلا نقاط
(١٧٦) في الأصل ـ يجيك ـ

صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم).

وإن أردت علم أحـوال القلب فانظـر الى الاحيـاء وغـيره من مصنفـاتي، وهذا العلم فرض عينٍ، وغيره فرض كفايةٍ، إلا مقدار ما تؤدي فرائض(١٧٧) الله، والله يوفقك حتى تحصله.

والرابع : أن لاتجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنةٍ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُـدُّ لبعض حجـراتـه وقال: (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً)، ولم يكن يعد ذلك(١٧٨) لكل الحجرات، بل كان يعدّ لمن علم انّ في قلبها ضعفاً وأما من كانت صاحبة يقينٍ ما يعدّلها الا قوت يوم ونصف.

٢٦ ـ أيّهـــا الولـــد :

اني كتبت في هذا الفصل مسائلك فينبغي ان تعمل بها، ولا تنساني فيه من أن تذكرني في صالح دعاءِك وأما الدعاء الذي سألت منيّ فأطلبه من دعوات الصحاح وأقرأ هذا الدعاء في أوقاتك خصوصاً في عقاب الصلوات:

اللهم اني أسألك(١٧٩) من النعمة تمامها، ومن العصمة دوامها، ومن الـرحمـة شمـولهـا، ومن العـافية حُصُولها، ومن العيش أرغدهُ، ومن العمر

(١٧٧) في الأصل ـ فرايض ـ
(١٧٨) في الأصل ـ ذالك ـ
(١٧٩) في الأصل ـ أسئلك ـ

أسعدهُ، ومن الاحسان أتمه، ومن الأنعام أعمّه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف انفعه.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم اختم بالسعادة، آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا، واقرب بالعافية، غُدونا وآصالنا، واجعل الى رحمتك مصيرنا، ومآلنا[180]، أصبب سجال عفوك[181] على ذنوبنا، ومّن علينا باصلاح عيوبنا، اجعل التقوى، زادنا، وفي دينك اجتهادنا، وعليك توكّلنا واعتمادنا، ثبتنا على نهج الاستقامةِ وأعذنا من موجبات الندامة والفضيحة يوم القيامة[182]، خفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا عيش الابرار، واكفنا واصرف عنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار.

يا عزيز يا غفّار برحمتك يا أرحم الراحمين.

فائـــــدة :

إذا كان الشخص منفرداً عهن مرشدَ كامل أو صديقٍ ناصح فليطالع هذه النصائح[183] حتى تكون نصب عينيه: يرجو[184] من فضل الله أن لا

(١٨٠) في الأصل - وماءلنا -
(١٨١) في الأصل - عفول -
(١٨٢) في الأصل - القيمة -
(١٨٣) في الأصل - النصايح -
(١٨٤) في الأصل - يرجوا -

يكون للنفس والشيطان عليه استيلاء[186]، ولا يقف عن الترقي في أحواله، أحديها أن يعرف دقائق[186] الرّياء حتى تكون أعماله خالصة لوجه الله.

والثانية : انه اذا ظفر بشيء من مراتب الطريق لا يعجب به، يتهم نفسه ويعتقد انه ليس في العالم بضال مثله ويرى تقصيره في كل عمل.

والثالثة : يحسن الظن بالله ويقول: ان الله يرزق الظّلمة والفسّاق والكفار والكلاب وسائر[187] المخلوقات فلا يحرمني مما قدّر لي من الرّزق.

والرابعة : لا يستعجل في حصول المقصود.

والخامسة : يعوّد نفسه على تحمل أذاء الخاص والعام والصغير والكبير، والمحب والعدو.

والسادسة : لا تحقرن مسلماً بعصيان صدر منه لان الخاتمة مُبهمة.

والسابعة : يخاف من سوء الخاتمة، العياذ[189] بالله.

والثامنة : يقصر الأمد بحيث إذا صلّى صلوات يعتقد أنها آخر صلواته يعيش إلى صلواتٍ أخرى، أم لا!!

والله الموفق للصواب.

تمت هذه الوصية بعون الله الملك الوهاب

(١٨٥) في الأصل - أسيلاء -
(١٨٦) في الأصل - دقايق -
(١٨٧) في الأصل - وساير -
(١٨٨) في الأصل - العياد -

فهرست كتاب

أيّها الولد

ان رسـالـة ـ أيها الولـد ـ للغزالي خالية من الفصول والأبواب والأقسام، والمقدمة، وقد قام الغزالي بتصنيفها على شكل نصائح، وابتدأ كل نصيحة بعبارة أيها الولد، ولما كان المخطوط الاصل خالياً من فهرست لتنظيم وترتيب هذه النصائح، لذا قمت بهذه الخطوة، لكي تحل محل الفهرست.

«المقـدمة»

١ـ النصيحة الاولى: نصيحة الرسول (ص) لأمته.
٢ـ النصيحة الثانية: في سبب تقديم النصيحة «النصيحة سهلة والمشكل قبولها»
٣ـ النصيحة الثالثة «لا تكن من الأعمال مفلساً ... الخ»
٤ـ النصيحة الرابعة: «لو كان لرجل حرارة أو مرض صفراوي ...»
٥ـ النصيحة الخامسة: «اذا مات ابن ادم انقطع عنه عمله ... الخ»
٦ـ النصيحة السادسة: «ما لم تعمل، لم تجد الأجر ... الخ»
٧ـ النصيحة السابعة: «كم ليالٍ احييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب. الخ».
٨ـ النصيحة الثامنة: «عش ما شئت فأنك ميت .. الخ»
٩ـ النصيحة التاسعة: «فأي شيء حاصلك من تحصيل علم الأخلاق ...»
١٠ـ النصيحة العاشرة: «العلم بلا عمل جنون»
١١ـ النصيحة الحادية عشر: «اجعل الهمة في الروح ... الخ»

تحقيق وفهرسة جميل إبراهيم حبيب

انتهى .

صدر عن دار القادسية كتاب « **المنقذ من الضلال** »
للامام الغزالي .. وستوالي الدار اعادة طبع كتب
الامام الغزالي تباعا ..